# تفسير ابن كثير

يقول تعالى مخبرا عن المشركين أنهم كانوا يقولون لولا نزل عليه آية من ربه أي خارق على مقتضى ما كانوا يريدون ومما يتعنتون كقولهم { لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا } الايات { قل إن ا قادر على أن ينزل آية ولكن أكثرهم لا يعلمون } أي هو تعالى قادر على ذلك ولكن حكمته تعالى تقتضي تأخير ذلك لأنه لو أنزل وفق ما طلبوا ثم لم يؤمنوا لعاجلهم بالعقوبة كما فعل بالأمم السالفة كما قال تعالى : { وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفا } وقال تعالى : { إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين } وقوله { وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم } قال مجاهد : أي أصناف مصنفة تعرف بأسمائها وقال قتادة : الطير أمة والإنس أمة والجن أمة وقال السدي { إلا أمم أمثالكم } أي خلق أمثالكم .

وقوله { ما فرطنا في الكتاب من شيء } أي الجميع علمهم عند ا ولا ينسى واحدا من جميعها من رزقه وتدبيره سواء كان بريا أو بحريا كقوله { وما من دابة في الأرض إلا على ا رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين } أي مفصح بأسمائها وأعدادها ومظانها وحاصر لحركاتها وسكناتها وقال تعالى : { وكأين من دابة لا تحمل رزقها ا يرزقها وإياكم وهو السميع العليم } وقد قال الحافظ أبو يعلى حدثنا محمد بن المثنى حدثنا عبيد بن واقد القيسي أبو عباد حدثني محمد بن عيسى بن كيسان حدثنا محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد ا قال : قل الجراد في سنة من سني عمر Bه التي ولي فيها فسأل عنه فلم يخبر بشيء فاغتم لذلك فأرسل راكبا إلى كذا وآخر إلى الشام وآخر إلى العراق يسأل هل رؤي من الجراد شيء أم لا ؟ قال : فأتاه الراكب الذي من قبل اليمن بقبضة من جراد فألقاها بين يديه فلما رآها كبر ثلاثا ثم قال : سمعت رسول ا صلى ا عليه وسلّم يقول [ خلق ا D ألف أمة منها ستمائة في البحر وأربعمائة في البر وأول شيء يهلك من هذه الأمم الجراد فإذا هلكت تتابعت مثل النظام إذا قطع سلكه ] وقوله { ثم إلى ربهم يحشرون } قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس في قوله { ثم إلى ربهم يحشرون } قال : حشرها الموت وكذا رواه ابن جرير من طريق إسرائيل عن سعيد عن مسروق عن عكرمة عن ابن عباس قال : موت البهائم حشرها وكذا رواه العوفي عنه قال ابن أبي حاتم : وروي عن مجاهد والضحاك مثله : ( والقول الثاني ) إن حشرها هو يوم بعثها يوم القيامة لقوله { وإذا الوحوش حشرت } وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن

سليمان عن منذر الثوري عن أشياخ لهم عن أبي ذر أن رسول ا صلى ا عليه وسلّم رأى شاتين تنتطحان فقال [ يا أبا ذر هل تدري فيم تنتطحان ؟ ] قال : لا قال [ لكن ا يدري وسيقضي بينهما ] ورواه عبد الرزاق عن معمر عن الأعمش عمن ذكره عن أبي ذر قال : بينا نحن عند رسول ا صلى ا عليه وسلّم إذ انتطحت عنزان فقال رسول ا صلى ا عليه وسلّم : [ أتدرون فيم انتطحتا ؟ ] قالوا : لا ندري قال [ لكن ا يدري وسيقضي بينهما ] رواه ابن جرير ثم رواه من طريق منذر الثوري عن أبي ذر فذكره وزاد : قال أبو ذر : ولقد تركنا رسول ا صلى ا عليه وسلّم وما يقلب طائر جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علما وقال عبد ا بن الإمام أحمد في مسند أبيه : حدثني عباس بن محمد وأبو يحيى البزار قالا : حدثنا حجاج بن نصير حدثنا شعبة عن العوام بن مراجم من بني قيس بن ثعلبة عن أبي عثمان النهدي عن عثمان وقال [ القيامة يوم القرناء من لتقتص الجماء إن ] قال م ّوسل عليه ا صلى ا رسول أن Bه عبد الرزاق : أخبرنا معمر عن جعفر بن برقان عن يزيد بن الأصم عن أبي هريرة في قوله { إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون } قال : يحشر الخلق كلهم يوم القيامة البهائم والدواب والطير وكل شيء فيبلغ من عدل ا يومئذ أن يأخذ للجماء من القرناء ثم يقول كوني ترابا فلذلك يقول الكافر { يا ليتني كنت ترابا } وقد روي هذا مرفوعا في حديث الصور .

وقوله { والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات } أي مثلهم في جهلهم وقلة علمهم وعدم فهمهم كمثل أصم وهو الذي لا يسمع أبكم وهو الذي لا يتكلم وهو مع هذا في ظلمات لا يبصر فكيف يهتدي مثل هذا إلى الطريق أو يخرج مما هو فيه كقوله { مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب ا بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون * صم بكم عمي فهم لا يرجعون } وكما قال تعالى : { أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل ا له نورا فما له من نور } ولهذا قال { من يشإ ا يض ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم } أي هو المتصرف في خلقه بما يشاء